مدخل إلى فقه اللغة:

أولا . حقيقة فقه اللغة[1]:

إنّ[فقه اللغة] مركّب إضافي فلا بد من تعريفه باعتبارين: باعتباره مركّبا إضافيا، وتعريفه باعتباره لقبا لهذا النوع من الفقه.

1. حقيقة[فقه اللغة]باعتباره مركّبا إضافيا.

إنّه لا بد من بيان معنى[فقه] المضاف، و[اللغة] المضاف إليه.

أ . حقيقة[فقه]لغة واصطلاحا:

*حقيقة[فقه]لغة: ويطلق في اللغة على الفهم، وعلى الدقة فيه[2].

* حقيقة[فقه] اصطلاحا: ومن أحسن التعريفات وأضبطها: العلم[المعرفة] بالأحكام الشرعية المكتسب من أدلتها الشرعية[3].

*وقد غلب استعمال كلمة[الفقه] على علوم الدين خاصة، لشرفها، وذلك من باب تخصيص الدلالة، ومن باب إطلاق العام وإرادة الخاص، فيستعمل في غير علوم الدين بقرينة لغوية، أو قانونية...فنقول: الفقه القانوني، وفقه اللغة...

ب . حقيقة[اللغة] لغة واصطلاحا:

* حقيقة[اللغة]لغة:مشتقة من لغا يلغو: إذا تكلّم، فيكون معناها الكلام[4].

---

(1) فقه اللغة . مفهومه، موضوعاته، قضاياه . : الدكتور محمّد بن إبراهيم الحمد [17وما بعدها]، العلاقة بين علم العقيدة وعلم فقه اللغة دراسة تحليلية مقارنة: للمؤلّف نفسه، مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم [3302 وما بعدها]، الوجيز في فقه اللغة العربية: عبد القادر محمّد مايو، مراجعة وتدقيق أحمد فرهود[10وما بعدها]، فصول في فقه العربية: الدكتور رمضان عبد التواب[9وما بعدها]، اللهجات العربية نشأة وتطوّرا: الدكتور عبد الغفار حامد هلال[29وما بعدها]، المعجم المفصّل في فقه اللغة: مشتاق عباس معن[18وما بعدها]، دراسات في فقه اللغة والكتابة السليمة: الدكتور أحمد الخاني[13وما بعدها]، فقه اللغة: الدكتور عبد الحميد أبو سكين[5وما بعدها]، فقه اللغة العربية وخصائصها: الدكتور إميل بديع يعقوب[28وما بعدها]، محاضرات في فقه اللغة: الدكتور عصام نور الدين[13وما بعدها].

(2) القاموس المحيط: الفيروزآبادي[1328]، المصباح المنير: الفيومي[390].

(3) أصول الفقه الإسلامي: الدكتور وهبة الزحيلي[19].

* حقيقة[اللغة] اصطلاحا: ومن تعريفاتها وأشهرها:

*وقد عرّفها به ابن جني في كتابه[الخصائص] بقوله:"حد اللغة أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"[5].

وهذا التعريف يضارع أحدث التعريفات العلمية للغة، حيث تدور تلك التعريفات على ما خلاصته أنّ اللغة هي:

. أصوات منطوقة/ . وأنّ وظيفتها التعبير عن الأغراض/ . وأنّها تعيش بين قوم يتفاهمون بها/ . وأنّ لكل قوم لغة.

فهذه هي الأركان التي يدور عليها تعريف اللغة عند جميع من عرّفها، وإن كانت بعض التعريفات الحديثة للغة تتوسّع، فتدخل في اللغة كل وسيلة تفاهم، ولا تقتصر على الأصوات، فتجعل فيها الإشارات، وتعبيرات الوجه، ودقّات الطبول وغيرها، لكن الأشهر هو حصر اللغة في الأصوات المنطوقة، لأنّ غيرها من الوسائل محدودة وقليلة القيمة.

*ويراها بعض المحدثين:"أنّها نظام من الرموز الصوتية، أو مجموعة من الصور اللفظية، تُختزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية، وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معيّن"[6].

*يقول الدكتور عبد الغفار حامد هلال:"ولعل علماءنا القدامى . حين خصوا اللغة . في اصطلاحهم العلمي بما يصدر عن الإنسان من الأصوات المعبّرة عن الأغراض قصدوا الحديث عن اللغة التي تلبي حاجات الجماعة، ويهتم بها المجتمع لأنّها الوسيلة التي تفي بأغراض الناس وشؤونهم في الحياة"[7].

2 . حقيقة[فقه اللغة]باعتباره لقبا لهذا النوع من الفقه، والمصطلحات ذات الصلة.

---

[4] لسان العرب: ابن منظور[251/15].

[5] الخصائص: ابن جني[87/1].

[6] الخصائص: ابن جني[87/1].

[7] اللهجات العربية نشأة وتطوّرا: الدكتور عبد الغفار حامد هلال[31].

أ . حقيقة[فقه اللغة]باعتباره لقبا لهذا النوع من الفقه : وممّا سبق ذكره وتوضيحه يمكن اختصارا إعطاء حقيقة شاملة لهذا المصطلح بكونه: "العلم الذي يعنى بفهم اللغة، ودراسة قضاياها، وموضوعاتها"[8].

فهو العلم الذي يعنى بدراسة قضايا اللغة؛ من حيث أصواتها، ومفرداتها، وتراكيبها، وفي خصائصها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، وما يطرأ عليها من تغييرات، وما ينشأ من لهجات، وما يثار حول العربية من قضايا، وما تواجهه من مشكلات إلى غير ذلك ممّا يجري ويدور في فلكه[9].

*ويقول عبد القادر مُحَمَّد مايو إنّ الإلمام بالعديد جدا من كتب فقه اللغة؛ قديمها وحديثها، يضعنا أمام تعريف جامع لهذا العلم الضارب أطنابه من جذور شجرة اللغة العربية إلى فروعها وقممها المستحدثة، هذا التعريف يقول:"فقه اللغة هو علم العلوم اللغوية، ويقصد بعلم العلوم اللغوية، أنّه علم الكليات اللغوية الذي يتناول من كل لغة نشأتها، ومعالمها، وتطوّرها"[10].

*ويقول الدكتور رمضان عبد التواب:"تطلق كلمة[فقه اللغة] عندنا الآن على العلم الذي يحاول الكشف عن أسرار اللغة، والوقوف على القوانين التي تسير عليها في حياتها، ومعرفة سر تطوّرها، ودراسة ظواهرها المختلفة، دراسة تاريخية من جانب، ووصفية من جانب"[11].

*ويقول الدكتور عبد الحميد مُحَمَّد أبو سكين:"وجدير بنا إذن أن نعرّف فقه اللغة فنقول:"هو منهج للبحث استقرائي وصفي، يعرف به أصل اللغة التي يراد درسها، وموطنها الأول، وفصيلتها وعلاقتها باللغات المجاورة أو البعيدة الشقيقة أو الأجنبية وخصائصها وعيوبها ولهجاتها وأصواتها، وتطوّر دلالتها، ومدى نمائها قراءة وكتابة"[12].

---

[8] فقه اللغة ـ مفهومه، موضوعاته، قضاياه ـ : مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد [20].

[9] فقه اللغة ـ مفهومه، موضوعاته، قضاياه ـ : مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد [19].

[10]الوجيز في فقه اللغة العربية: عبد القادر مُحَمَّد مايو، مراجعة وتدقيق أحمد فرهود[12].

[11]فصول في فقه العربية: الدكتور رمضان عبد التواب[9].

[12] دراسات في فقه اللغة: الدكتور صبحي الصالح[22/21]، فقه اللغة: الدكتور عبد الحميد أبو سكين[6/5]، الترادف في فقه اللغة وعلم الدلالة دراسة مقارنة: جنوار عبدي[31].

والبحوث الأساسية المذكورة في التعريف تتعلّق بعلوم ثلاثة[13]:

. التاريخ: لمعرفة موطن اللغة الأول، وروابط القربى بينها وبين اللغات الإنسانية الأخرى...

. علم الصوت:لبحث لهجات اللغة وأصواتها...

. علم الدلالة: لبحث تطوّر ألفاظها، وما تفيده من المعاني.

ب . المصطلحات ذات الصلة[14]: ومن المرادفات لمصطلح [فقه اللغة]هنالك مصطلح آخر يرد في بعض المؤلّفات الحديثة مقابلا لمصطلح[فقه اللغة]ألا وهو [علم اللغة].

وقد انقسم المؤلِّفون المحدثون تجاهه على قولين أساسيين: تفريقا وتوحيدا[15].

القول الأول: القائلون بالتفريق بين المصطلحين، ومنهم؛ الدكتور محمود السعران [16]، والدكتور كمال بشر[17]، والدكتور محمود فهمي حجازي[18]، والدكتور عبده الراجحي[19]، والدكتور عبد الصبور شاهين[20]، والدكتور مُحَمَّد أسعد النادري[21].

*الفروق بين[فقه اللغة] و[علم اللغة] [22]: والذين فرّقوا بين المصطلحين ذكروا فروقا، وتتمثّل فيما يأتي:

---

(13) دراسات في فقه اللغة: الدكتور صبحي الصالح[22]، الترادف في فقه اللغة وعلم الدلالة دراسة مقارنة: جنوار عبدي[31].

(14) فقه اللغة . مفهومه، موضوعاته، قضاياه . : مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد [20وما بعدها]، محاضرات في فقه اللغة: الدكتور عصام نور الدين[13وما بعدها].

(15) المعجم المفصّل في فقه اللغة: مشتاق عباس معن[18وما بعدها].

(16) في كتابه[علم اللغة].

(17) فقه اللغة مناهله ومسائله: الدكتور مُحَمَّد أسعد النادري[21وما بعدها].

(18) في كتابه[علم اللغة العربية].

(19) في كتابه[فقه اللغة في الكتب العربية].

(20) في كتابه[في علم اللغة العام].

(21) في كتابه[فقه اللغة مناهله ومسائله].

(22) فقه اللغة مناهله ومسائله: الدكتور مُحَمَّد أسعد النادري[21وما بعدها]، دراسات في فقه اللغة: الدكتور صبحي الصالح[19وما بعدها]، الوجيز في فقه اللغة العربية: عبد القادر مُحَمَّد مايو، مراجعة وتدقيق أحمد فرهود[13وما بعدها]، المعجم المفصّل في فقه اللغة: مشتاق عباس معن[18وما بعدها]، فقه اللغة العربية وخصائصها: الدكتور إميل بديع يعقوب[33].

. موضوع [فقه اللغة] هو لغة بعينها، كاللغة العربية، في حين أنّ موضوع [علم اللغة] هو اللغة باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة لها الوظائف نفسها في مختلف الجماعات اللغوية.

ولذلك يقول الدكتور رمضان عبد التواب:"وهكذا نرى[علم اللغة]يستقي مادته من النظر في اللغات على اختلافها، وهو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق والخصائص، التي تجمع اللغات الإنسانية كلها في إطار واحد"[(23)].

. غاية[فقه اللغة] هي دراسة الحضارة والثقافة والأدب عموما من خلال اللغة في حين أنّ غاية[علم اللغة] هي دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها.

. درس [فقه اللغة] للغة إنما هو درس تاريخي مقارن في أغلب الأحيان في حين أنّ درس [علم اللغة] للغة هو درس قائم على مناهج علمية صرف، يمكن تعميمها على كل اللغات، ولذلك استبعدت من مجال علم اللغة العام الموضوعات التي لا يمكن بحثها بمناهج دقيقة كموضوع نشأة اللغة.

. [فقه اللغة] يهتم باللغات القديمة المكتوبة، أمّا علم اللغة العام فيهتم باللغة المتكلّمة، وإن كان يوجّه للغة المكتوبة شيئا من الاهتمام.

. [علم اللغة] أضيق اختصاصا، وألصق بالصوتيات، بينما [فقه اللغة]أوسع اختصاصا، وأكثر شمولا لتعلّقه بنشأة اللغة، وتطوّر معالمها...

. [علم اللغة] يستهدف خدمة[فقه اللغة]عن طريق مدّه بالأصول النظرية للتطوّر، أمّا [فقه اللغة]فيستهدف خدمة اللغة نفسها، وتطويرها.

. الذي يهدف إلى دراسة اللغة من أجل فهم اللغة لذاتها حتى إن استعان باللغات الأخرى المباينة له بالنوع أو الجنس، هو دارس [علم اللغة]، والحقل الذي يصنّف فيه هو [علم اللغة]، أمّا إذا كان الدارس يهدف إلى فهم شمولي للغة المدروسة وموقعها عبر المراحل . عموديا . وصلتها

[(23)] فصول في فقه العربية: الدكتور رمضان عبد التواب[12].

بالمجاورات أو المؤثّرات من اللغات . أفقيا . مستندا في ذلك إلى الوصف فحسب أو إلى المنهج التاريخي والمقارن فهو دارس[فقه اللغة]والحقل الذي تصنّف فيه هو[فقه اللغة] [24].

. يمكن اعتبار[علم اللغة]هدفا بحد ذاته لدراسة اللغة، بينما [فقه اللغة]على ضخامته فهو وسيلة إلى غاية أضخم، قد تمتد إلى دراسة النقلة الحضارية للأمة من خلال اللغة.

*وبعد أن ذكر الدكتور مُحَمَّد أسعد النادري الأوجه الأربعة للتفرقة بين[فقه اللغة]، و[علم اللغة]قال:"ومع ذلك كله، ومع التسليم بأنّ [فقه اللغة] شيء، وعلم اللغة شيء آخر فإنّ القول بانعدام الصلة بين هذين الضربين من العلم إنّما هو استنتاج خاطئ بلا شك، ففقه اللغة هو أولا وآخرا حلقة في سلسلة علوم اللغة عموما"[25].

*ويقول عبد القادر مايو:"لقد سلّمت الكتب المعنية بعلم اللغة، والمعنية بفقه اللغة بصعوبة التفريق بينهما، ولفتت عناية الدارس إلى الغموض الذي يكتنف المصطلحين معا"[26].

*ويقول الدكتور رمضان عبد التواب:"وكل علم من هذين العلمين، لا ينفصل في الواقع عن الآخر، انفصالا حادا، ولا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر مطلقا"[27].

القول الثاني : القائلون بالتوحيد والتسوية بين المصطلحين، ومنهم؛ الدكتور علي عبد الواحد وافي[28]، والأستاذ مُحَمَّد المبارك[29]، والدكتور صبحي الصالح[30]، والدكتور إبراهيم السامرائي[31].

---

[24] المعجم المفصّل في فقه اللغة: مشتاق عباس معن[25/24].

[25] فقه اللغة مناهله ومسائله: الدكتور مُحَمَّد أسعد النادري[24].

[26] الوجيز في فقه اللغة العربية: عبد القادر مُحَمَّد مايو، مراجعة وتدقيق أحمد فرهود[16].

[27] فصول في فقه العربية: الدكتور رمضان عبد التواب[10].

[28] في كتابه[فقه اللغة].

[29] في كتابه[فقه اللغة وخصائص العربية].

[30] في كتابه[دراسات في فقه اللغة].

[31] في كتابه[فقه اللغة المقارن].

*والحقيقة ـ كما يقول الأستاذ مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد ـ أنّ هذا الخلاف طارئ على العربية، إذ الكلمتان من الناحية اللغوية معناهما واحد، وقد وردا في تراثنا العربي، فلابن فارس كتاب[الصاحبي في فقه اللغة]، وللسيوطي كتاب [المزهر في علوم اللغة].

ولم يقصد السيوطي مخالفة ابن فارس، بل كانا يرميان إلى أهداف متقاربة؛ من خدمة العربية، وبيان خصائصها، والوقوف على سنن العرب في كلامهم، والحديث عن القضايا اللغوية العامة.

فإذا استخدم مصطلح[فقه اللغة] باعتباره شاملا لدراسة اللغة بعامة فهو الأنسب، لأنه مستخدم في عربيتنا، وورد في تراثنا.

وإذا استخدم اصطلاح[علم اللغة] فإنما يعنى به المرادف لفقه اللغة، بناء على المعنى اللغوي، ولا مشاحة في الاصطلاح[32].

*ويقول الدكتور صبحي الصالح:"وإذا التمسنا التفرقة بين هذين الضربين من ضروب الدراسة اللغوية من خلال التسميتين المختلفتين اللتين تطلقان عليهما، وجدناها تافهة لا وزن لها"[33].

*ويقول الدكتور عبد الحميد مُحَمَّد أبو سكين:"ولعله من المفيد أن نبادر إلى القول بأنّ مصطلح[علم اللغة] يرادف مصطلح[فقه اللغة][34].

ويقول كذلك ناصحا ومرشدا:"وإنّه ليحلو لنا أن نقترح على الباحثين المعاصرين ألا يستبدلوا بهذه التسمية القديمة شيئا، وأن يعمّموها على جميع البحوث اللغوية، لأنّ كل علم لشيء فهو فقه، فما أجدر هذه الدراسات جميعا أن تسمّى فقها"[35].

*وهناك تفصيل وتبسيط من طرف الدكتور أحمد مُحَمَّد قدور بين مصطلحات ثلاث متقاربة وهي[فقه اللغة / علم اللغة /الفيلولوجية]، ولا مشاحة في الاصطلاح ولا إشكال في تغيير

---

[32] فقه اللغة ـ مفهومه، موضوعاته، قضاياه ـ : مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد [20].

[33] دراسات في فقه اللغة: الدكتور صبحي الصالح[20/19].

[34] فقه اللغة: الدكتور عبد الحميد أبو سكين[6/5].

[35] دراسات في فقه اللغة: الدكتور صبحي الصالح[20].

المصطلح إذا كان المعنى واضحا فقال ونخلص ممّا تقدّم أنّ الباحث مدعو إلى إمعان النظر في المصطلحات التالية تجنّبا لأي التباس أو وهم، وهي:

. [فقه اللغة]وهو معرفة خاصة بالعربية الفصحى، وإن داخلها شيء من التطوير والرفد، وليس هذا بقاطع الطريق على أي إنشاء محدث للسانيات العربية أو فروعها المرتجاة كعلم الدلالة وعلم الأصوات وعلم المعجم وعلم المصطلح، فكل ذلك من باب الإغناء لا الإلغاء.

ويمكن بناء على ما تقدّم وصف[فقه اللغة العربية] بما يلي:

=أنه يهتم بدراسة العربية الفصحى أساسا قديمها وحديثها.

=لا يعنى باللهجات إلا من جهة اختلافها عن الفصحى.

=يعتمد النصوص القديمة والموادّ الحديثة التي تحوز رضا أهل اللغة وعلمائها والقائمين عليها.

=يستمد بعض أصول النحو لضبط مسائل اللغة كالاحتجاج والقياس.

=يهتم بالإطار الثقافي للعربية الفصحى.

=يعنى بكشف الخصائص العامة للعربية الفصحى.

=يستمد مادته أصلا من المفردات أصواتا ودلالة وتصنيفا.

=يوظّف نتائج الدرس المقارن للغات السامية بما يعود على موضوعه العام بالفائدة كالأصول القديمة، وتطوّر الخطوط، وأصول بعض المعرّبات.

والباب مفتوح لرفد[مادة] فقه اللغة العربية بما يرسّخ وجود هذه المعرفة ويطوّرها[36].

. [علم اللغة أو اللسانيات] [37]:إذا أراد الباحث التعبير عن الدراسات اللسانية التي تنضوي تحت مصطلح[Linguistique] وما يتفرّع منه من مصطلحات متعدّدة تشير إلى مجالات درسية كثيرة.

---

[36] مدخل إلى فقه اللغة العربية: الدكتور أحمد محمّد قدور[42وما بعدها].

. [الفيلولوجية] [38]:إذا أراد الباحث التعبير عن أي ممّا يدل عليه المصطلح الغربي[Phillologie] كدراسة النقوش، وإعداد النصوص للنشر، ودراسة المعطيات الثقافية العامة ونحو ذلك.

*سبب الخلاف في التسوية أو التفرقة بين المصطلحين[فقه اللغة]، و[علم اللغة] [39]:

إنّ هذا الخلاف سببه الرئيس هو ترجمة بعض المصطلحات الغربية، ومحاولة تطبيقها على لغتنا؛ إذ الغربيون يفرّقون بين علمين يتناولان اللغة، أحدهما يعنى بدراسة النصوص اللغوية القديمة، واللغات البائدة، ويهتم بالتراث، والتاريخ، والنتاج الأدبي واللغوي، وقد ترجم هذا باسم[علم اللغة].

والثاني: يُعنى بدراسة اللغة في ذاتها؛ وصفا وتاريخا، ومقارنة، ودراسة للهجات والأصوات مستعينا بوسائل علمية، وآلات حديثة، وترجم باسم[فقه اللغة].

ومن هنا حاول بعض الباحثين تطبيق هذا على العربية، والتفريق بين عِلميين يهتمان بالعربية، متناسين أمورا منها ما يأتي:

. الاختلاف الكبير بين العربية وغيرها.

. إنّ أقدم نصوص العربية وصل إلينا من العصر الجاهلي.

. إنّ العربية نزل بها القرآن الكريم.

. إنّ العربية إلى يومنا هذا لغة واحدة حافظت على خصائصها، وبقيت لها هيبتها التي حفظها لها القرآن الكريم.

---

(37) مدخل إلى فقه اللغة العربية: الدكتور أحمد محمّد قدور[36].

(38) مدخل إلى فقه اللغة العربية: الدكتور أحمد محمّد قدور[36].

(39) فقه اللغة. مفهومه، موضوعاته، قضاياه. : محمّد بن إبراهيم الحمد [20 وما بعدها].

. إنّ دراسة العربية في العصور السابقة لا تختلف عن دراستها في عصرنا الحاضر إلا ما طرأ من عاميات ولهجات.

وهذا بخلاف غيرها من اللغات الأخرى؛ إذ الإنجليزية المعاصرة لا تمت بصلة إلى الإنجليزية منذ قرون إلا بصلات واهية، بل إنّ لغة شكسبير . وهو من كبار أدباء الإنجليز وقد مات في القرن السابع عشر . لا يكاد يفهمها إلا نفر قليل من المثقّفين.

وقل مثل ذلك في الفرنسية، والإيطالية، وسائر اللغات الأوربية الحديثة.

أمّا نحن العرب . على اختلاف أقدارنا من الثقافة . فنقرأ القرآن ونفهمه إلا قليلا ممّا ترجع صعوبته إلى دقة المعاني في أغلب الأحيان، وكذلك الحال بالنسبة للحديث النبوي.

وكذلك نقرأ أدب الجاهلية وأدب صدر الإسلام وما بعده فنفهمه في الجملة على اختلاف الثقافة فيما بيننا.

وخلاصة القول في هذه المسألة .كما يقول الدكتور مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد . أنّ مصطلح[فقه اللغة]أكثر ملاءمة، وأعم وأشمل في دراسة القضايا التي يتناولها ذلك العلم.

ومع ذلك فلا تثريب على من استعمل المصطلح الآخر[علم اللغة].